

نظرية الأثر في النحو التوليدي التحويلي وجذورها في التراث اللغوي العربي
Trace Theory in Transformational-Generative Grammar and Its Roots
in the Arabic Linguistic Heritage

السيد مبارك أبوزيد عبد المنعم إبراهيم¹

¹جامعة الجوف – كلية الآداب، emabozead@ju.edu.sa

تاريخ الاستلام: 2026/02/15 تاريخ القبول: 2026/02/24 تاريخ النشر: 2026/07/25

ملخص: يدرس البحث نظرية الأثر بوصفها تمثل موقعاً محورياً في النحو التوليدي التحويلي؛ إذ تمثل الآلية التفسيرية للظواهر النحوية التي تعتمد على الحذف أو الحركة في الجملة، حيث يُفترض أن كل عنصرٍ محذوفٍ يترك أثراً دلاليّاً أو نحويّاً في البنية العميقة، وقد حاول البحث الكشف عن الجذور المفهومية للنظرية في التراث اللغوي العربي لدى علماء العربية الذين تناولوا فكرة "الأثر" بمفاهيم قريبة، مثل: العامل، والمحذوف، والتقدير، والربط بين الظاهر والمضمر، وقد اعتمد البحث المنهج الوصفي التحليلي المقارن، الذي يقف عند المفهوم الحديث ويقابله بنظائره التراثية، لتجلية عمق الفكر النحوي العربي وسبقه إلى كثير من تصورات اللسانيات الحديثة، وتنتهي الدراسة إلى أن نظرية الأثر – وإن ظهرت في اللسانيات الحديثة ضمن إطار عقلي لغوي – فإن جذورها الفكرية قائمة في التراث اللغوي العربي.

الكلمات المفتاحية: الأثر، النحو التوليدي التحويلي، الحذف، البنية العميقة، التراث العربي.

تصنيفات JEL:،، ...

Abstract: This study examines Trace Theory as a key concept in transformational-generative grammar, explaining deletion and movement by assuming that every omitted element leaves a structural or semantic trace in the deep structure. It explores the theory's conceptual roots in the Arabic grammatical tradition, where notions such as governance, deletion, and underlying reconstruction were used to account for structural relations and silent elements. Through a descriptive and comparative approach, the study highlights how classical Arabic grammar anticipated core insights later formalized in generative linguistics, concluding that the foundational intuitions

of Trace Theory have substantive precedents in the Arabic linguistic heritage.

Keywords: Trace; Transformational-Generative Grammar; Deletion; Deep Structure; Arabic Linguistic Heritage.

Jel Classification Codes: ..., ..., ...

المؤلف المرسل: السيد مبارك أبوزيد عبد المنعم إبراهيم الإيميل: emabozead@ju.edu.sa

1. مقدمة:

شهد الدرس اللغوي في القرن العشرين تحوُّلاً جذرياً مع ظهور النحو التوليدي التحويلي على يد العالم الأمريكي نعوم تشومسكي، الذي سعى إلى بناء نموذج يفسّر الكفاءة اللغوية لدى الإنسان من خلال التمييز بين البنية العميقة والبنية السطحية للجمل، ومن بين المفاهيم الرئيسة التي برزت في هذا الاتجاه (مفهوم الأثر) وهو العنصر الخفي الذي يتركه كل مكون نحوي ينتقل من موقعه الأصلي في الجملة، ليحافظ على الترابط النحوي والدلالة في البنية التحويلية، وقد استأثرت هذه النظرية باهتمام الدارسين لأنها تمثل جوهر فكرة الحركة في النحو الحديث، ولأنها تكشف عن العلاقة بين المظهر الخارجي للجملة وبنيتها الذهنية الكامنة.

وإذا ما تأملنا التراث النحوي العربي وجدنا أن النحاة العرب قد تنبّهوا مبكراً إلى وجود علاقات خفية تربط بين الظاهر والمضمر في التراكيب، فجعلوا من العامل والمعمول أساساً لتفسير الروابط النحوية، ومن التقدير والحذف وسائل لبيان ما لم يُنطق به في الكلام.

ومن هنا يهدف هذا البحث إلى الربط بين نظرية الأثر في اللسانيات الحديثة والمفاهيم التراثية العربية التي تمهّد لها فكرياً، من خلال مقارنة علمية تستجلي الجذور وتبيّن مسارات التطور الفكري، إلى جانب إبراز القيمة العلمية للنحو العربي في تأسيس التفكير اللساني الحديث.

وقد اعتمد البحث المنهج الوصفي التحليلي المقارن، الذي يقوم على وصف الظاهرة اللغوية في صورتها الحديثة، ثم تحليلها في ضوء المفاهيم العربية القديمة.

وبناء على ما سبق جاء البحث في مقدمة ومبحثين، الأول منهما بعنوان: نظرية الأثر في النحو التوليدي التحويلي، وثانيهما بعنوان: الجذور المفهومية لنظرية الأثر في التراث النحوي العربي، ثم جاءت الخاتمة تعرض لأهم النتائج التي توصل إليها البحث، ويلحق بها ثبت بأهم المصادر والمراجع.

2. المبحث الأول: نظرية الأثر في النحو التوليدي التحويلي

1.2 مدخل:

شهد النصف الثاني من القرن العشرين تطوراً هائلاً في الدراسات اللغوية وبخاصة في أمريكا؛ حيث اهتزت دعائم المنهج الوصفي الذي كان سائداً ومستقراً في الجامعات والمدارس العليا في أمريكا وحدها بل في جميع أنحاء العالم، وذلك بعد أن أصدر العالم اللغوي الأمريكي نعوم تشومسكي كتابه الأول (التركيب النحوية Syntactic Structures) عام 1957، وقد أخذت نظريته في الذبوع وانتشار في جميع أنحاء العالم لما جاءت به من منهج جديد أخذ يقوض دعائم المنهج الوصفي البنائي، وأصبح يخلو أي كتاب لغوي يعرض للدراسات اللغوية الحديثة دون أن يشير على الأقل إلى نظرية تشومسكي في النحو التحويلي Transformational Grammar بل إن كثيراً من علماء اللغة والباحثين طبقوا نظريته على ظواهر لغتهم. (محمود جاد الرب، 1985، ص188).

هكذا كان ظهور كتاب تشومسكي الأول البداية الحقيقية للنظرية التوليدية التحويلية، ثم تبعه بكتابه الثاني (مظاهر النظرية النحوية Aspects of the theory of syntax) الذي ألفه عام 1965. (محمود جاد الرب، 1985، ص188).

وقد تأثر المنهج العلمي عند تشومسكي في الأساس بالنظرية التوزيعية، وبالمفهوم المنطقي الرياضي للنحو، ولقد رأى هذا العالم اللغوي (نعوم تشومسكي) أنه من الضروري القيام بالكشف عن نظرية عامة في البنية النحوية، وأدخل استعمال الرموز إلى التحليل، وكان مقتنعاً بأن هذا الإجراء المنهجي سيضمن أقصى درجة من الدقة في الوصف العلمي. (ميلكا إفيش، 2000، ص381).

ويقوم النحو التوليدي التحويلي على افتراض أن اللغة ليست ظاهرة اجتماعية فحسب، بل هي قدرة فطرية مزروعة في ذهن الإنسان، يُعبّر عنها عبر قواعد داخلية تُسمّى "النحو الكلي"، تمكّنه من اكتساب أي لغة طبيعياً، كما أن تشومسكي أراد استخلاص النحو من المنطق، واستنباط اللغة من الحياة العقلية الأصيلة، ولذا اعتمد على المقابلة بين التعبيرات اللغوية العقلية والتركيب المنطقي الكامن في نظرية نحو بورت رويال في تمييزه بين التركيب السطحي والتركيب العميق. (محمود جاد الرب، 1985، ص191)، ومن ثمّ تميّزت هذه النظرية عن المدارس البنيوية والسلوكية التي كانت تنظر إلى اللغة على أنها سلوك مكتسب يعتمد على المحاكاة.

ومن أبرز ما جاء به تشومسكي هو التفرقة بين البنية العميقة (Deep Structure) والبنية السطحية (Surface Structure)؛ فالأولى تعبّر عن التركيب الباطني المجرد، الموجود في ذهن المتكلم وجوداً فطرياً، وهي أول مرحلة من عملية الإنتاج الدلّلي للجملة، إنها التركيب المستتر الذي يحمل عناصر التفسير الدلّلي، بينما الثانية تمثّل التركيب التسلسلي للوحدات الكلامية المادية المنطوقة أو المكتوبة، فهي بمثابة التفسير الصوتي للجملة، والتي تظهر بعد تطبيق قواعد التحويل. (شفيفة العلوي، 2004، ص53- ميشال زكريا، 1985، ص261-267).

ولقد شهد النحو التوليدي تحوّلاً في نظريته إلى موقع "البنية العميقة" ودورها في تفسير المعنى، فبعد أن كانت تمثّل الإطار المركزي الذي تُشتق منه الجملة، والتي تحمل في طياتها عناصر التفسير الدلّلي، تراجع هذا الدور مع تطوّر نظرية النحو في أعمال تشومسكي اللاحقة، فقد اتجهت النظرية إلى اعتبار أن العلاقات الدلّلية يمكن استنتاجها مباشرةً من البنية السطحية، ولذلك يقول جون سيرل: "وبعد ظهور نظرية الأثر في النحو التوليدي التحويلي يمكن القول بمقتضاه، حسب تشومسكي، أن التأويل الدلّلي للجملة لم يعد للبنية العميقة دور فيه، بل أصبح الدور الأساس للبنية السطحية". (جون سيرل، 1979، ص141).

وبذلك انتقلت النظرية من مركزية البنية العميقة إلى مركزية البنية السطحية بوصفها المستوى الذي تُقرأ عليه العلاقات الدلّلية، وأصبح المعنى يُستمدّ من الصورة النهائية للجملة كما تُنطق، □ من بنية افتراضية سابقة عليها.

2.2 الأثر في النظرية التوليدية التحويلية/ الماهية والحدود

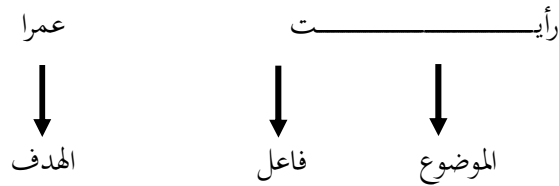
تُعَدّ نظرية الأثر (Trace Theory) من أبرز النتائج التي انبثقت عن نظرية الحركة في إطار النحو التوليدي التحويلي، وقد تبلورت ملامحها في أعمال "نعوم تشومسكي" منذ مطلع الثمانينيات؛ إذ يرى تشومسكي أن كل عملية نحوية يتم فيها نقل عنصر لغوي من موضعه الأصلي إلى موضع آخر داخل الجملة تترك خلفها أثراً (Trace) يمثل متغيراً يرتبط بالعنصر المنقول، بحيث يضمن تفسيره في الموضعين

الأصلي والمشتق في آنٍ واحد، فالأثر كما يقول: "ليس مجرد فراغ تركيبى، بل عنصر نحوي خفي يحمل دورًا وظيفيًا في الحفاظ على التساق التركيبى والدلي للجملة، بحيث تنقطع العلاقة بين البنية العميقة والبنية السطحية" (Chomsky, 1981, p49).

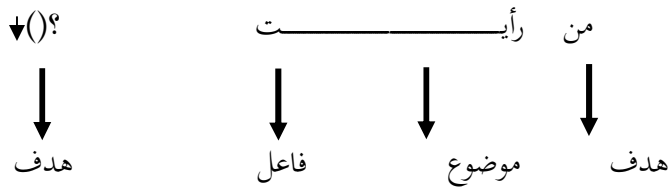
ويعرف تشومسكي الأثر بأنه: عنصر معدوم من الوجهة الصوتية، غير أنه يشير إلى الموقع الأصلي الذي كان يحتله في البنية العميقة عنصر معين، كان قد تم حذفه أو إزاحته بواسطة تحويل معين، ومثاله: رأيت زيدا - من رأيت (أ)؟ (جون سيرل، 1979، ص 141).

كما عرضت "ليليان هيغمان" توضيحًا لمفهوم الأثر، مبينةً "أنه فئة فارغة صوتيًا تُترك في الموضع الأصلي للعنصر المنقول، لكنها تؤدي دورًا جوهريًا في الحفاظ على العلاقات التركيبية داخل الجملة" (Haegeman, 1994, p185).

وبناء عليه فالأثر عنصر فارغ صوتيًا ومعجميًا، لكنه يبقى محتفظًا بالوظيفة النحوية للكلمة، مشيرًا إليها بعد حذفها، كما أنه يساعد على تحديد العلاقات المحورية القائمة بين الكلمات المتجاورة في المستوى السطحي للجملة، على النحو الآتي: (شفيفة العلوي، 2004، ص 91).

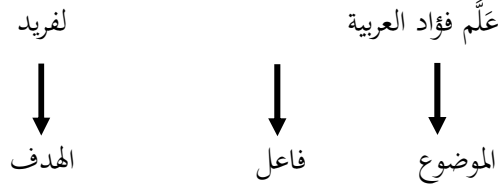


فالرؤية هي موضوع هذه الجملة، وفاعلها (التاء)، وأما (عمرا) فهو الهدف المراد الوصول إليه. إن هذه المفاهيم (الموضوع، والفاعل، والهدف) هي العلاقات المحورية التي تعكس لنا البنية السطحية مباشرة، وعند تحويل الجملة المثبتة إلى حالة الاستفهام نحو:

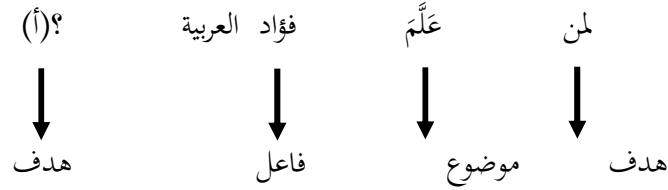


فإن نفس العلاقات المحورية تظل قائمة رغم حذف الهدف (عمرا) من السطح، وبقاء موضعه فارغا، والسبب في ذلك يكمن في أن الوظيفة الإخبارية لـ (عمرا) قد انتقلت إلى أداة الاستفهام (من)، تاركة أثرا يدل عليه.

ولتأكيد دور الأثر ووظيفته في تفسير العلاقات المحورية داخل البنية السطحية، يضرب -أيضا- جون سيرل المثال الآتي: (جون سيرل، 1979، ص 141، 142).



تنص العلاقات المدارية أن علاقة الجار والمجرور لفريد بالفعل "عَلَّمَ" هي علاقة هدف/بفعل، (فههدف الفعل هو تعليم العربية لفريد)، وتستمر هذه العلاقة (فعل/هدف) قائمة في حال إزاحة (تقديم) الجار والمجرور بتأثير التحويل إلى الجملة الاستفهامية، كما يلي:



تستقي "لمن" علاقتها المدارية بالفعل "عَلَّمَ" في البنية السطحية علاقة (فعل/هدف) بتوسط الأثر (أ) الذي حل محل الهدف الأصلي القائم في البنية العميقة، فالأثر بهذا الشكل نوع من الذاكرة أو الحافظة للبنية العميقة في البنية السطحية.

ويتضح مما سبق أن الأثر يقوم بدورين أساسيين، هما:

أولاً: حفظ العلاقة بين الفعل والهدف، فحينما حذف الهدف وتحولت الجملة من الخبر إلى الإنشاء، حلت "لمن" محل الهدف (لفريد) ثم تحركت إلى أول الجملة، تاركة أثرا (أ) دل على العلاقة الأصلية (فعل/هدف) وكأن الأثر هو خيط غير مرئي يصل بينهما.

ثانياً: إبراز قيمة البنية السطحية، وضمان أن البنية السطحية تعكس البنية العميقة، فعلى الرغم من أن الجملة الظاهرة مختلفة، إلا أن التحليل التوليدي يفترض أن البنية العميقة ما تزال محفوظة بفضل الأثر؛ إذ إنه يمثل ذاكرة الموقع الأصلي للعنصر بعد حذفه أو تحريكه.

ومن ثم يُفهم أن الأثر هو وسيط نحوي غير منطوق، يربط بين موضعين مختلفين للعنصر ذاته، ويكفل اتساق البنية النحوية في مظهرها العميق والسطحي، مما يجعل هذه النظرية من الركائز الأساسية في تفسير العلاقات الخفية داخل الجملة في النحو التوليدي.

ويمكن أن يُفهم من طرح عدد من اللغويين المعاصرين أنَّ مفهوم الأثر (Trace) في النحو التوليدي يقترب مما يسميه النحاة العرب المحذوف المقدر أو العامل المحذوف؛ إذ يمثل كلُّ منهما عنصراً غير منطوق يحافظ على اتساق التركيبي، بشرط وجود القرينة الدالة على المحذوف. (عبد القادر الفاسي الفهري، 1993، ص74، تمام حسان، 2006، ص218).

3. المبحث الثاني: الجذور المفهومية لنظرية الأثر في التراث النحوي العربي

لقد عُني التراث النحوي العربي بتناول الظواهر اللغوية، وإمالة اللثام عنها بمنهج دقيق وعقلي في آنٍ واحد، وقد كانت غاية النحاة العرب الأولى هي تفسير ظواهر العربية في ضوء المعنى والإعراب، فجعلوا العلاقة بين الألفاظ والمعاني جوهر الدرس النحوي.

وإنَّ شك أن المتأمل لقضية الحذف والتقدير في تراثنا اللغوي العربي يجدها تكاد تقترب من فكرة "الأثر" في النحو التوليدي التحويلي؛ إذ ظهرت مفاهيم شديدة الاتصال بجوهرها في تراثنا العربي القديم، نحو العامل والمعمول، والمحذوف المقدر، وكلها تقوم على فكرة وجود علاقة خفية بين اللفظ المنطوق وبين البنية المعنوية في اللغة.

ولقد ارتبط مفهوم التقدير في النحو العربي بمسألة الحذف؛ إذ أدرك النحاة أن المتكلم قد يحذف بعض العناصر اعتماداً على القرائن اللفظية أو المعنوية، وقد أفاضوا في تفسير المحذوفات على أساس أنها مقدّرات ذهنية باقية الأثر في البنية، "فالحذف إسقاط لصيغ داخل النص التركيبي في بعض المواقف اللغوية، وهذه الصيغ يُفترض وجودها نحويّاً؛ لسلامة التركيب وتطبيقاً للقواعد، ثم هي موجودة أو يمكن أن توجد

في مواقف لغوية مختلفة، فمثلاً: "أهلاً وسهلاً"، تعبير - تفترض القواعد النحوية أن فيه حذفاً، مردّه إلى أنّ كلا من الكلمتين منصوبة، فهي معمولة، و[] بدّ لها من عامل، وليكن العامل هنا قدّمت في الكلمة الأولى ونزلت في الثانية. فسنجد أنّ العاملين المحذوفين اللذين قدرنا وجودهما في الكلام يوجدان فعلاً في مواقف لغوية أخرى، أي: في نصوص لغوية مغايرة. (على أبو المكارم، 2008، ص201).

والحذف يكون بحذف أجزاء من الجملة على سبيل الإيجاز والإجمال ومنه حذف المبتدأ، والخبر، والحال، والتمييز، والمضاف، والمضاف إليه، وقد يحذف الفعل، والفاعل، والمفعول، وغير ذلك من أجزاء الجملة، شريطة أن يدل عليه دليل أو قرينة (مُجد سليمان الأشقر، 1990، ص90)، واللغة العربية بطبيعتها تميل إلى الإيجاز و[] اختصار؛ حيث نجد العرب في مخاطباتهم يحذفون من الكلام حروفاً وكلمات، بل جملاً طالما كان معنى الكلام مفهوماً دونها، وظهر دليل عليه (عبد القادر حسين، 1986، ص9).

ويتضح ذلك في قول ابن جني في حديثه عن الحذف؛ حيث يقول: "قد حذفت العرب الجملة والمفرد والحرف والحركة، وليس شيء من ذلك [] عن دليل عليه، و[] كان فيه ضرب من تكليف علم الغيب في معرفته" (ابن جني الخصائص، بدون تاريخ، 362/2). هذا المعنى عند ابن جني، يُقدّر فيه المحذوف كأنه مذكور، لأن أثره يبقى وإن حذف اللفظ.

وهذا النص يعبر بوضوح عما يمكن أن نسمّيه الأثر الذهني أو البنية العميقة في [] اصطلاح الحديث؛ حيث [] يزول العنصر من النظام اللغوي حتى وإن لم يُنطق به، بل يظل حاضراً في الذهن مع بقاء العلاقات المعنوية الدالة عليه داخل النظام التركيبي للجملة.

ولقد كان ابن جني من أكثر النحاة قرباً إلى التفكير اللساني الحديث، فقد رأى أن اللغة نظام عقلي، وأن التراكيب اللغوية تخضع لقوانين فكرية [] لفظية فحسب، وتوضح هذه الفكرة حينما نراه في أكثر من موضع يؤكد على أن الأصل في النحو هو المعنى، واللفظ دليل عليه. (ابن جني الخصائص، بدون تاريخ، 151/1، 199/2)، وهذا التصور يجعل البنية النحوية عنده انعكاساً لبنية ذهنية سابقة، أي أن

هناك عمقاً فكرياً سابقاً على النطق، وهي الفكرة ذاتها التي ينادي بها تشومسكي حين يميّز بين "البنية العميقة" والبنية السطحية".

كما تحدّث ابن جني عن "أثر العامل في الإعراب"، وذلك في خصائصه؛ حيث يذكر أن العامل وإن لم يُذكر لفظاً فإنه في المعنى قائم يؤثّر (ابن جني الخصائص، بدون تاريخ، 364/2) وهذا يعكس تماماً مفهوم "الأثر" الذي يبقى في البنية رغم غياب اللفظ، أي أن هناك علاقات نحوية غير منطوقة لكنها فعّالة دليلاً.

ويقترّب من ذلك مفهوم ابن السراج للحذف بأنه إسقاط العامل مع بقاء المعمول على ما كان له من حكم إعرابي، أي حذف العامل مع بقاء أثره الأعرابي. (علي أبو المكارم، 2008، ص202).

ويعتمد النحاة في تقديرهم للمحذوف على دعامتين منها: نظرية العامل بمفهومها المحدد في البحث النحوي التقليدي، والذي يحتم وجود أطراف ثلاثة في التركيب ليصح العمل النحوي، وهذه الأطراف هي: العامل والمعمول والصلة أو الأثر الذي تركه العامل في المعمول. (علي أبو المكارم، 2008، ص345).

ويوحد بعض الدارسين المحدثين بين مصطلحي "الحذف والإضمار" ويرى أن الإضمار يفترق عن الحذف في شيء؛ لأن في كل منهما تقدير ما وجود له في ظاهر النص اللغوي؛ إذ إن الإضمار أو الاستتار هو أن يوجد في الصيغة، ما يدل على المضمر أو المستتر، أما في حالة الحذف فلا يشترط أن يوجد في الصيغة ما يدل على المحذوف، بل يمكن أن يفهم من السياق وحده. (أبو البقاء الكفوي، 1998، ص384، علي أبو المكارم، 2008، ص202).

ويفهم من ذلك أنّ الحذف والإضمار وجهان لظاهرة واحدة، لأن كليهما يقوم على تقدير عنصر غير ملفوظ في ظاهر التركيب؛ فالإضمار يعتمد على دلالة الصيغ الداخلية التي تشير إلى العنصر المستتر، بينما قد يتوفر في الحذف أي دليل لفظي مباشر، ويُستدل عليه من السياق أو المقام، ويقترّب هذا المفهوم من نظرية الأثر في النحو التوليدي، التي تفترض وجود عنصر غير منطوق يخلفه الجزء المتحرك في البنية العميقة، وتتأسس عليه العلاقات النحوية؛ ومن ثم فإن كلاً من الإضمار والحذف والأثر يشتركون في فكرة وجود بنية خفية تُسهم في حفظ التساق التركيبي والدلي للجملة، وإن كان النحو التوليدي يعالجها

بوصفها مكوّنًا بنيويًا ثابتًا، بينما يعالجها النحو العربي بوصفها تقديرًا تفرضه الصناعة النحوية أو مقتضيات السياق.

ومن ثم لجأ العلماء العرب إلى التقدير لبيان البنية النحوية الكامنة وراء التركيب، وردّ الظواهر اللغوية إلى أصولها المحذوفة؛ حفاظًا على سلامة القواعد، وكشفًا للعلاقات المعنوية التي يستقيم الكلام إلى بافتراضها ولهذا ظهر عندهم مفهوم "المحذوف المقدر" في التراث النحوي الذي يقوم على افتراض وجود عنصر غير منطوق يحتفظ بوظيفته النحوية في البنية، وهو ما يشبه إلى حد بعيد فكرة "الأثر" في النحو التوليدي التحويلي، فاشتراط تقدير الشيء في مكانه الأصلي، ومنع التقدير في مواضع تخالف الأصل، وضرورة وجود قرينة تُسوِّغ الحذف، كلها مبادئ تقارب ما تطرحه نظرية الأثر من أن العنصر المتحرك يترك موقعًا أصليًا يحتفظ بخصائصه، وتتحكم في حركته وحضوره قيود بنيوية ودلالية. (علي أبو المكارم، 2008، ص 201، 211).

ولقد أجمع النحاة واللغويون على أن الأصل في كلام العرب الذكر، وإصح منه شيء إلى بدليل عليه سواء كان هذا الدليل معنويًا أي يقتضيه المعنى أم صناعيًا؛ أي تقتضيه الصناعة النحوية وسواء تدل عليه قرينة لفظية أم تدل عليه قرينة المقام. (ابن جني الخصائص، بدون تاريخ، 362/2، فاضل السامرائي، 2007، ص 73).

وقد توسع النحاة في تقدير المحذوفات، فقالوا بحذف الفاعل تارة، والمفعول أخرى، والمبتدأ أو الخبر، وكلها تدل على نظام نحوي ذهني خفي يحكم العلاقات بين الكلمات.

ومن أبرز ما يدل على عمق التفكير النحوي العربي هو التأويل، وهو إعادة بناء الجملة لتفسير ما خفي من معناها أو تركيبها. فحين يفسر النحاة قول الله تعالى: ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ﴾ (يوسف: 82)، يقولون: إن التقدير: واسأل أهل القرية، أي إن المحذوف (أهل) ترك أثرًا دلاليًا استدّل عليه بالسياق وهذا النوع من التأويل يبرهن على أن النحاة العرب كانوا يدركون مفهوم البنية العميقة من خلال تعاملهم مع

المعنى والسياق، وإن لم يستخدموا المصطلح نفسه. (للتدليل □ الحصر، ابن □ نباري، 1999، ص202، ابن جني سر صناعة الإعراب، 39/1، الثعالبي، 2002، ص223).

وخلاصة القول: يظهر من تتبّع جهود النحاة العرب في باب الحذف والتقدير أنّ هدفهم لم يكن مجرد إكمال صورة تركيبية منقوصة، بل السعي إلى الكشف عن البنية العميقة للجملة العربية، تلك البنية التي تستبطن عناصر □ يظهر أثرها في اللفظ، لكنها حاضرة في الذهن وفي النظام اللغوي نفسه، ومن ثمّ فإنّ تقدير المحذوف عندهم يقوم على مبدأ جوهري يتمثل في أنّ العمل النحوي □ يقوم □ بوجود علاقة خفية تربط بين اللفظ والمعنى، وهذه الرؤية تفتح المجال لربط جهودهم بما طوّرت اللسانيات الحديثة في "نظرية الأثر" داخل النحو التوليدي التحويلي، حيث تُفسّر الظواهر اللغوية بوجود عناصر كامنة تؤثر في البنية دون أن تُنطق، وبهذا يلتقي التراث النحوي العربي مع تصوّر اللساني المعاصر في إدراك أنّ وراء الظاهرة اللغوية مستويات أعمق من التنظيم، تعمل وفق مبادئ ثابتة تحكم بناء الجملة ومعناها، مما يجعل دراسة الحذف والتقدير مدخلاً أساساً لفهم طبيعة البنية الخفية للغة.

كما نؤكد من هذه المقارنة أنّ الفكر النحوي العربي سبق في إدراك جوهر العلاقات الخفية بين المكونات اللغوية، وأنّ ما جاء به تشومسكي هو تأطير صوري رياضي لفكرة كانت موجودة في النحو العربي في إطار لغوي ومعنوي، ومن ثمّ يمكننا القول بأنّ الأثر التوليدي هو تمثيل صوري لما كان النحاة العرب يدركونه ضمناً، فالمعنى والتحليل الذهني كان محور تفسيرهم للبنية النحوية.

4. خاتمة:

وبعد: فقد تم هذا البحث في إطار جانب من جوانب الدرس اللغوي المقارن، وكان معنياً بدراسة نظرية الأثر في النحو التوليدي التحويلي وجذورها في التراث اللغوي العربي، وقد توصل البحث إلى عدد من النتائج من أهمها أن:

- أ. النحاة العرب سبقوا إلى إدراك جوهر فكرة الأثر قبل ظهورها في النظرية التوليدية التحويلية.
- ب. المفاهيم التقليدية مثل العامل، المحذوف المقدر، الضمائر المستترة، والتقدير الذهني تمثل تمثيلاً وظيفياً للأثر في الدرس اللغوي الحديث.

- ج. التوليدين أعادوا صياغة هذه الأفكار بأسلوب صوري ورياضي، لكنه لم يبتعد عن المبادئ العقلية التي وضعتها المدارس النحوية العربية.
- د. الأثر في النحو التوليدي يمثل عنصراً غير ملفوظ، يحفظ العلاقات النحوية والدالية بين العناصر بعد تطبيق التحويلات.
- هـ. التوازي بين البنية العميقة والبنية السطحية في النحو التوليدي يشبه تماماً ما كان يقوم به النحاة العرب من تقدير للعناصر المحذوفة لضبط الإعراب والمعنى.
- و. الفكرة الجوهرية واحدة وهي الحفاظ على التساق النحوي والدالي بين العناصر بعد الحركة أو الحذف.

5. قائمة المراجع:

- (1) ابن الأنباري: أسرار العربية، دار الأرقم بن أبي الأرقم، ط1، بيروت، لبنان، ١٩٩٩م.
- (2) ابن جني: الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط4، (د.ت.).
- (3) ابن جني: سر صناعة الإعراب، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، لبنان، 2000م.
- (4) أبو البقاء الكفوي: معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، مؤسسة الرسالة، ط2، بيروت، 1998.
- (5) أبو منصور الثعالبي: فقه اللغة وسر العربية، تحقيق: عبد الرازق المهدي، دار إحياء التراث العربي، ط1، بيروت، لبنان، 2002م.
- (6) تمام حسان: اللغة العربية معناها ومبناها، عالم الكتب، ط5، القاهرة، 2006م.
- (7) جون سيرل: تشومسكي والثورة اللغوية، مجلة الفكر العربي، العدد 1، 1979.
- (8) شفيقة العلوي: محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة: أبحاث للترجمة والنشر والتوزيع، ط1، بيروت، 2004م.

- (9) عبد القادر الفاسي الفهري: اللسانيات واللغة العربية: نماذج تركيبية ودلالية، دار توبقال للنشر، ط3، الدار البيضاء، 1993م.
- (10) عبد القادر حسين: أثر النحاة في البحث البلاغي، دار قطري بن الفجاءة للنشر والتوزيع، ط2، الدوحة، 1986م.
- (11) علي أبو المكارم: الحذف والتقدير في النحو العربي، دار غريب للنشر، القاهرة، 2008م.
- (12) فاضل صالح السامرائي: الجملة العربية تأليفها وأقسامها، دار الفكر ناشرون وموزعون، عمان، الأردن، ط2، 2007م.
- (13) محمد سليمان الأشقر: معجم علوم اللغة العربية عن الإثمة، مؤسسة الرسالة، ط2، بيروت، 1990م.
- (14) محمود جاد الرب: علم اللغة نشأته وتطوره، ط1، دار المعارف، القاهرة، 1985م.
- (15) ميشال زكريا: الألسنية (علم اللغة الحديث) المبادئ والأعلام، المؤسسة الجامعية، ط2، بيروت، 1983م.
- (16) ميلكا إفيش: اتجاهات البحث اللساني، ترجمة: د. سعد مصلوح، د. وفاء كامل، المجلس الأعلى للثقافة، ط2، القاهرة، 2000م.

- 17) Chomsky, N. (1981). *Lectures on government and binding: The Pisa lectures*. Foris Publications.
- 18) Haegeman, L. (1994). *Introduction to government and binding theory* (2nd ed.). Blackwell.